قلوبهم المخذولة
رندا حفيظ

# للمَخذولةِ قُلوبُهمّ

رندا حفيظ

•اسم الكتيب: للمَخذولةِ قُلوبهُم.
•عدد الصفحات:71 ص.
•المؤلفة: رندا حفيظ.
•تاريخ النشر:7أغسطس2024.
•تصميم الغلاف، تنسيق داخلي: رندا حفيظ.
•تدقيق: أصالة الشرعبي.

---

•يسمح بنشر هذا الكتيب أو أخذ إقتباسات منه فقط مع تضمين وسم# للمَخذولةِ قُلوبهُم.
أو# رندا حفيظ.
ولا يسمح بطباعته إلَّا بإذن خطي من المؤلفة.

# •إهداء:

للمَخذولينَ الذين لاذَ بهم سَهمُ الغدار فبقوا عالقينَ في جروحهم، لأولئك الذين أُتوا من مأمنهم، لمن لم يجدوا من يواسيهم أو يقيم عزاءً لمشاعرهم، أهدي لكم كتابي هذا لعلهُ يقوم بواجب العزاء.

1|

## •مدخل:

وأولئك الذينَ ينتزعونَ طمأنينة قلبٍ من سلامه، أتساءل كيفَ تملك لهم أفواههم أن يقولوا في الصلاة: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين!

## 2|

- ما أقبح الخذلان! وما أقبح تلك الندبه التي يخلفها! فلا سامح الله كل من دخل قلبًا فنزع منه طمأنينته وعاث به خرابًا، ومضى دون أن يلملم شظايا حروبه.

# 3|

لتتخلص من جرحٍ ما عليك أن تغلق دونهُ كل الطرق، كل الأبواب، وكل النوافذ، أغمض عين قلبك عن حُلو الذكريات؛ لكيلا تحن، فالحنين عدو النسيان، والنسيان العدو الأكبر للإنسان، ولتتمكن من التغلب على عودك تعامل بسياسةٍ أكبر، اجعل منهُ رفيقًا لك، وإن أردت أن يصبح النسيان هو صديقك اللدود فعليك أن تغلق كل الأبواب، ألا تختلس النظر؛ فإن كان بالمعروف أن النظر هو شر البدايات، ففي حالتك تلك سيصبح اختلاس النظر هو بمثابة رش الملح على الجرح، الجرح الذي ما زال ثاغرًا، وحينها لن يندمل أبدًا.

# 4|

نحن في غرائزنا كبشر حين نحب، نحب بكل قلوبنا ولا نترك مساحةً واحدة للخذلان!

وحين نتألم نبتعد، وابتعادنا ألمًا وليس كرهًا!

وفي أول اعتذار يُقدَّم لنا نرمي كل شيء جانبًا ونعود، فنُخذل، وبعدها نعود نجر أذيال الخيبة مجددًا!

نعود بجرح جديد، ولكن نحن هذه المرة من صنعناه بأيدينا!

لأننا منحنا الفرص، وظننا أنهم تغيروا،

ظننا ونسينا أن بعض الظن إثم!

فالغدار بطبعهِ سيبقى هكذا ولن يتغير،

ومن فعلها مرةً سيفعلها عشرًا.

وعلى سبيل القول لكم قصةً قرأتُ ذات يوم في أحد الكتب تتحدث عن أسطورة تقول:

إنه كان هناك عقرب جلس طويلاً على ضفة النهر،
ينتظر من ينقله إلى الضفة الأخرى،
وطال انتظاره ولكن دون جدوى، إذ رفض الجميع نقله؛
لأنهم كانوا يعرفون جميعًا أنه يلسع،
وعندما مر الضفدع من أمامه،
قال العقرب في نفسه: ما الضير إن حاولت مع هذا الضفدع!
فقال له على الفور: أيها الضفدع الطيب،
هلأ تحملني على ظهرك حتى أبلغ الضفة الأخرى!
فقال له الضفدع: أمجنونٌ أنا لأحملك على ظهري فتلسعني؟!
فقال له العقرب: كيف ألسعك وأنا على ظهرك وفي وسط النهر،
فإن مُتَّ أنت غرقتُ أنا!
فاقتنع الضفدع بقول العقرب، ودنا منه ليحمله على ظهره،

ولما صارا في منتصف النهر، غرز العقرب إبرته في جسد الضفدع،
ونشر سُمه فيه،
فقال له الضفدع وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة:
لمَ قتلتني وأنت تعلم أنك ستموت معي؟
فقال له العقرب: الغدرُ طبعي، والطبع غالب!
خلاصة القصة:
عليك أن تعرف أن الغدار حين يغدر فهو يفعل ذلك لأن هذا طبعٌ فيه،
ومهما بدا لك ندمه ومدى صدقه وأنه لن يغدر بك أو يخذلك ثانيًا،
إياك أن تمنحه ثقتك مجددًا!
فتكتشف بعدها أنك لم تمنحه ثقتك بل، منحته السلاح الذي سدد لك به الضربة القاضية!
تذكر أنه فعلها من قبل،
وأن الغدر طبعٌ فيه، والطبع دومًا سيبقى غالبًا!

5|

- إياك أن تُعطي فرصةً لمن خذلك، لا تعطيهِ فرصةً ليطعنك ثانياً في نفس الوتد
فمن كنت غاليًا عليه لن يخذلك منذُ البداية،
لا تعطي فرصةً مهما بدى لك الشخص ندمه؛
فحتى اخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً يبكون!

# 6|

لا تهرب، بل واجه.
ضع جرحك ماثلاً أمام عينيك على الدوام.
تذكر تلك اللحظة التي سقطت بها الأقنعة،
تذكر الوجوه الحقيقية، أنها لم تكن مرعبة بقدر ما كانت قاسية!
تذكر شفقة الجدران،
دع قلبك ينزف إلى أن تتأقلم وتعتاد،
إلى أن تنظر لكل هذا ولا يرف لك جفن،
إلى أن تراه عادياً!
فيلتئم جرحك، حتى وإن احتجت لوقت طويل!
فلتعلم فقط أن الشعور الذي يتسلل لدواخلنا ببطء لا يمكن له أن يخرج دفعة واحدة.

وهنا ليس لك إلا واحد من خيارين:
إما أن تواجه وتشفى ببطء،
وإما أن تهرب وتترك جرحك عرضة لأي ذكرى قد تجعله ينزف مجددًا.

# 7|

(وَسَنَجزيَّ الصَابِريّنْ) وقد كُتبت من الصابِرين حين قلت: الحمدُللهِ وقَلبُك يَبكي.

فأي جزاء هذا الذي وعدنا به الرحمن!

فسبحان من إن أعطى فهو برحمته، وإن أخذ فهو بحكمته، وإن حرم فهو لم يكن إلا بلطفه.

ولكم مني مُقتطف بسيط لقصة قرأتها ذات يوم عن رواية الذهبي في "تذكرة الحفاظ"،

وكان عن الإمام الأوزاعي إذ قال: حدثني أحد الحُكماء قائلاً:

خرجتُ قاصدًا الجهاد، فرأيتُ في طريقي خيمة،

وإذ بها رَجلٌ قد ذهبت كلتا يداهُ، ورِجلاه، وبصرُه!

فتعجبتُ من سماعي له يُردد: اللهُمَ لك الحمدُ حمدًا يُوافي نِعمكَ عليّ.

فأردتُ معرفة صدق إيمانه، وصدق صبره،
فقلتُ له: على أيّ نعمة تحمدُ الله، ألا ترى ماذا صنع بك؟!
فأدهشني رده حين قال: لقد منحني لسانًا ذاكرًا، وجسدًا على البلاءِ صابرًا، ولو صبَّ عليَّ نارًا من السماء فواللهِ ما أزدت إلا حبًا له،
وإني إليك حاجة فهل أنت قاضيها لي؟!
فقلت له: على الرحبِ والسّعة.
فقال: لي ولدٌ يعاهدني بالوضوء عند صلاتي، وبالطعام عند إفطاري، وإني أفتقده منذُ البارحة،
فهلأ بحثت لي عنه، أو أتيتني بخبرٍ منه؟
فخرجتُ أبحثُ عن الغلام، ولما صرتُ بينَ كُثبان الرمال،
فإذا بي أرى سبعًا قد افترسهُ، وكانَ جالسًا يأكلُ منه!
فقلتُ في نفسي: إنا للهِ وإنا إليهِ راجعون، كيف أُخبره؟
فألهمني اللهُ أن أبدأه بالعزاءِ قبل الخبر،

فأتيته أُلقي السلام، فردهُ إليّ،
فقلتُ له: إني أسألك عن شيء أتخبرني به؟
فقال: إن كان عندي علمُ منه أخبرتك!
فقلت: أنت أكرمُ عند اللهِ منزلةً أم أيوب عليهِ السلام؟
فقال: بل أيوب أكرمُ عند اللهِ، وأعظم مني منزلة.
قلت: أليس الله قد ابتلاهُ فصبر، وكلما أشتد عليه البلاءُ شكر؟
قال: بلى!
فقلتُ له: إن ابنك قد افترسه السبع!
فقال: الحمدُللهِ الذي جعلَ في قلبي حسرةً على الدُنيا وما فيها، ثم شهقَ شهقةً ومات!
فجعلتُ أبحث عن من يعينني على غسله وتكفينه،
فبينما أنا هكذا، إذ برجال خرجوا للجهاد كحالي،
فناديتُ عليهم، فأقبلوا، وحدثتُهم بخبره، فدعوا له،
وقاموا معي حتى غسلناه ودفناه.

فرأيته في تلك الليلة في المنام في الجنة عليه ثياب خضر،
فقلت له سائلاً: ألستَ أنت صاحبي؟
قال: بلى.
فقلت له: فما الذي أنزلك هذه المنزلة؟
فرد عليَّ: هذه منزلة الصابرين في البلاء، الشاكرين في الرخاء.
وعلق الإمام الأوزاعي على ذلك قائلاً: **"فما زلتُ أحبُ أهل البلاء منذُ حديثي مع الحكيم".**
وأوليس هو القائل: (إِنِّي جَزَيّتهُم اليَوُمَ بِمّا صَبّروا جَنةً وَحَريّرا ۝)
فتذكروا أن أكثر أهل الأرض بؤسًا يُغمسُ يومًا غمسة واحدة في الجنة،
فيقالُ له: هل رأيت بؤسًا من قبل؟
فيقول: واللهِ ما رأيت بؤسًا قط**!**

وأن أكثر أهل الأرض نعيمًا يُغمسُ يومًا غمسة واحدة في النار،

فيقالُ له: هل رأيت نعيمًا من قبل؟

فيقول: واللهِ ما رأيت نعيمًا قط!

فمن نحن حتى لا نرضى بقضاءٍ قد قضاهُ الله علينا؟

فما أضيقها من دُنيا،

نحزنُ فيها على شيء، ونبكي على حرمانٍ في ظاهرهِ لنا خير نحبه وفي باطنهِ شرٌ نجهله!

ما أضعفنا حينَ نبكي على شيء حرمهُ الله علينا بلطفهِ الخفي!

ما أضعفنا حين نلجأ لمن لن ينفعنا الشكاءُ له مثقالَ حبةٍ من خردل،

وننسى أن الله يرانا ويسمعنا، والشكاء لغيره ما هوَ إلا مذلة،

وأنه هو أقرب إلينا من حبل الوريد!

ونقضي أعمارنا نبحث عن الكمال في دنيا لم تُخلق كاملة لأحد!

فاللهم ارزقنا في الدنيا الرضى على قدرٍ بلطفك قدرته، وفي الآخرة ارزقنا برحمتك الجنة عوضًا عن دنيا لم تخلق كاملة لأحد!

# 8|

"لو فرج اللهُ عن يوسف في أول ابتلاءه لما آل إليهِ خزائنُ مصر."

قد يطول البلاء ليعظم العطاء،

فثق باللهِ ولا تستعجل، فواللهِ ما أشتدت إلا لتهون،

وما ضاقت إلا لتفرج!

وما من نائبةٍ من نوائبِ الدنيا قد تشتدُ علينا،

إلا وهي عند اللهِ مدبرةٌ بأحسنِ حال!

فاللهُ إن أخر الجبر فتأكد أنهُ لن يأتي عاديًا أبدًا،

ونأتي على سبيلِ الوعد بقولهِ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾،

والسلامُ لقلبك حتى يهدأ.

9|

وتأتيك الضربة من حيثُ آمنت،
هي لا تأتي مِن مَن كنت تحذرهم أبدًا!
كلنا لدينا ذلك الجرح الذي تسبب به من ائتمناه،
كلنا لدينا جرحًا غائرًا طريًا نتحسسُ أثرهُ كل ليلةٍ
بأصابع الخيبة والندم!
جميعنا أخذنا نصيبنا من الخذلان دون أن نأخذ أقراصًا
مهدئة من الاستيعاب!
جميعنا لدينا تلك الذكرى التي أصبحت كنقطة سوداء في
تاريخ أعمارنا الذي أنقصتها الخيبة أعوامًا،
كوخزاتِ الإبر، كشقِ الظهر كانت تصرفات من
ائتمناهم فخانوا الأمانة!
فكلنا أوتينا من مأمنا في يومٍ ما!
كلنا نتذكر تلك النظرة الباردة التي جمدتنا في صقيع
الوحدة،
كلنا استشعرنا وخز تلك الكلمات في أفئدتنا،

الكلمات التي كانت كخنجرٍ منقوعٍ بسمٍ قاتل استقر في سويداء القلب!

كلنا ستبقى أرواحنا المقتولة على كتفِ من خان وخذل، ستبقى لوقتٍ طويل دون أن يستطيع أن يواري سوأتها!

سيبقى هذا ذنبًا محمولًا بكتفهِ إلى أن يُفنى، حتى وإن لم يشعر..

فلا سامح اللهُ من طرقَ الباب بنيةِ العبث،

من دخل الفؤاد حتى تمكنَ منهُ، فطعنهُ وذهب!

من قابل طيبة القلب بقساوة الفعل،

ولكن لا بأس، فلولا أولئك القساة، لما كنا بهذهِ القوة التي نحنُ عليها اليوم.

## 10|

حينَ يلتهبُ علينا أيُّ جرحٍ فإننا نظلُ نضمدهُ ونعالجهُ بقدرِ المستطاع!
ولكن حينَ يتطورُ ويكبر ويخرج عن سيطرتنا فإننا بحاجةٍ للبتر!
سنتألم وستبقى تلك الندبة فينا ما حييّنا، ولكن نحنُ نعلم علم اليقين أن البتر كانَ لازمًا لإنقاذ سائر الجسد!
فإن لم نخسر ما بترناهُ فينا كُنا سنخسرُ حينها أنفسنا،
فما كان حين إذٍ سينفعنا الاحتفاظُ بجزءٍ متعفنٍ منّا ونحنُ على وشكِ خسارةِ أنفسنا؟
أليمٌ هذا أنا أعرف، ولكن لنكسبَ أنفسنا كان يتوجبُ علينا البتر مهما توجعنا،
فالقليلُ من الألم لكسبِ النفس هو نصرٌ وليسَ خسارة!
وهكذا هي العلاقات المسمومة،
يجبُ علينا بتر ذلك الطرف المتعفن لنكسب أنفسنا،

مهما آلمنا ذلك البتر لكننا سندرك بنهاية المطاف أنهُ لم يكن إلا لصالح كسب أنفسنا.

# 11|

قرأتُ يومًا مقولةً لعُمر بن الخطاب رضي اللهُ عنه يقول فيها: **"وغادر كل متسع إن وجدتَ بهِ ضيقك!"**

وفهمتُ من خلالها

أن نغادر كل مكانٍ لا يتسعُ لنا،

وكُل قلبٍ يزدحمُ بوجوهٍ غير وجوهنا،

وأن لا نجلس في محطة البُدلاء!

أن نغادر كل شخصٍ لا يعطينا قيمتنا،

حتى وإن كان هذا الشخص أعزُ ما نملك، فطالما أنه لم يعطينا قيمتنا، فقد وجب علينا البعد،

فإما الأولوية أو العدم، ولا خيار ثالث لهُما!

إما أن نكون كل شيء أو أن لا نكون شيء،

فدكةُ البُدلاء لا تليقُ بنا.

## 12|

إياك أن تلوم نفسك على ثقةٍ منحتها ذات يومٍ لمن لا يستحق، فالعلاقاتُ أساسُها ودوامها ثقة،
والعلاقة بلا ثقة تسمى جحيم لا علاقة!
فإياك أن تتحسر على ما مضى، فالماضي لنتعلم منه،
لا لأن نعيش في مواجعه، ليس لنتجرع علقمهُ فيما تبقى من حياتنا!
فالماضي مهما كان موجعًا هو لنتعلم منهُ فقط،
فلم يُخلق الإنسانُ معصومًا من الخطأ!
وليس العيب في ثقتنا التي هُدرت، بل العيبُ وكل العيبُ فينا حين نمضي نصفَ أعمارنا نعيشُ في سرابٍ زائل،
ونمضي نصفهُ الآخر ونحنُ نتحسر على الماضي!
قرأتُ ذاتَ يومٍ مقولةً لأحدهم يقولُ فيها: "أنا لا أخسر، فإما أن أربح أو أتعلم!"

فكُن مدينًا لكُل خيبة أنضجتك، لأن الخيبات أحد أساتذة الحياة.

كُن مدينًا لكل صفعة خذلان جعلك تفيق!

كُن مدينًا لكل من جعلك أقسى،

كُن مدينًا لكل ألم جعلك أقوى!

كُن مدينًا لكل شيءٍ جعلك بطبيعةٍ صلبة ترفضُ البيروقراطية وتقدس قانون الغاب!

كُن مدينًا لكل هذا واحفظ الدرس، ولكن إياك ثم إياك أن تنسى الألم؛ لكيلا تحن!

ولتَعلم أن التخطي لا يعني النسيان، فالمرءُ لا يستطيع أن يخلعَ ذاكرتهُ ويمضي قُدمًا، ولكن التخطي هو أن ترى كل هذا ولا يهزك شيء!

أن ترى تلك الجروح على أنها وسامُ شجاعةٍ، لا أن تراها ندوبًا!

فطيُّ صفحة الماضي لا يعني عدم تذكره، بل يعني أنهُ لن يؤثر فيك ثانيةً!

فانسَ الماضي وتعلم الدرس، واطوِ صفحته؛ فالمفاتيح القديمة لن تفتح لك أبوابًا جديدة.

13|

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا۝)تأملها معي جيدًا يا عزيز، واستشعر رحمة الله فيها،

فسبحانه من لطفه بنا لا يُحمِّل نفسًا ما لا تطيق!فرفقًا بنفسك، لا تُرهقها بالبقاء مع أحد،

فالعمر قصير ولا يوجد فيه متسع للهموم والعناء!

والعمر ما هو إلا مرة واحدة، فلا تجعله يفنى بالخيبات،

فأنت تستحق من يقيم حربًا ليحظى بك حبًا!

فكُف عن الخسارات والتنازلات في سبيل المحافظة على سرابٍ زائل لن يدوم،

وأخيرًا: أريدك أن تعرف أن ما فاتك لم يكن لك!

وما كان لك لن يفوتك منذ البداية، وليطمئن قلبك.

## 14|

"إن للظلم أنواعًا كثيرة وأشدها أن يعبث الإنسان بالإنسان!"وإن تأملتها معي:
فسترى أن أكثر الأشياء قتلًا في هذه الحياة
ليس سيفًا حادًا بوسعه شق ظهرك لنصفين،
وليس سهمًا غدارًا يستقر وسط قلبك،
ولم يكن أيضًا سمًا خطيرًا لأفعى قاتلة!
بل الخذلان!
فلا يوجد شيء في هذا العالم يمكنه قتل المرء بأبشع الطرق وأكثرها ألمًا سوى الخذلان،
أن يقتلك ذات الوتد الذي صنعته بيديك،
وأن يؤذيك ذلك القلب الذي كنت تخاف عليه الأذى!
وأن تطعنك نفس اليد التي كنت تضمد جراحها.
فلا تستهين بالمخذولين!

وتأدب في حضرة جروحهم، لا تستهين بجرح لم تتذوق ألمه،

ولا تنظر للمخذولين على أنهم يبالغون ليس إلا، ما دمت لم تتذوق مرارة الخذلان!

فثمة وجع لا يُشكى ولا يُحكى، وإنما يقتل صاحبه ببطء شديد.

فحتى الشمعة، وهي شمعة، لو لم تكن تحتضن ذلك الخيط ما كانت ستفنى أبدًا.

## 15|

كنت في الثالثة عشرة من عمري حينما جمعتني صدفة بصديقة قديمة كانت تكبرني حينها بأربعة أعوام،
كانت فتاة غريبة، غريبة جدًا!
لقد كانت في عمر الزهور، لكني لم أكن أرى على ملامحها سوى شيخ عجوز أفنته السنين!
لقد رأيتها بالمعنى الحرفي "تذوب"، فسألتها: كيف حالك؟
لم ترد علي، ولكني رأيتها تبكي!
تعجبت من ردة فعلها، وأخذت ألوم نفسي؛ هل أخطأت معها بشيءٍ ما وأنا لا أعلم؟
فكل ما قلته لها هو سؤال عن الحال فقط لا غير، فما الذي يستدعي البكاء بهذا؟!
فأدركت لاحقًا أنها لم تكن تبكي لأنني قد أخطأت معها بشيء كما ظننت،

ولكنها كانت تفتقد الحنان، وفي أول كلمة حنونة قدمتها لها أجهشت في البكاء!

فلربما قلبها كان مليئًا بخذلان جعله هشًا للحد الذي يدفعها للبكاء عند سماعه كلمة لطيفة من شخص عابر.
فكلمة "كيف حالك" لم تكن تستدعي البكاء على الإطلاق،
لكن الخذلان إن احتل قلبًا جعله هكذا.فأعان الله كل من ثقل قلبه بخذلان لا يُحكى ولا يُنسى،
ولا عفا الله عن كل من دخل قلبًا فنزع منه طمأنينته ومضى.

16|

في الوقت الذي سيستقر فيه بقلبك معنى
(يُدبِّرُ الأَمرَ)،
لن تحزن بعدها على فوات الفرص!
ولا على أمنيات لم تتحقق،
ولا على تغير وداد أحدهم تجاهك!
ستختار بعدها طريق الرضا ليهون عليك العبور،
ستدرك أن لا شيء سيجعلك ترى الحرمان على أنه أمر مستساغ غير الرضا بقضاء الله وقدره،
سترى حينها الدنيا على حقيقتها الجلية!
ستراها على أنها دار امتحان ليس إلا،
ستفهم أنها إن حرمتك من شيء فستعوضك بأشياء!
ستفهم أن امتحان المرء لا يكون إلا بالصبر على الأشياء التي حُرم منها،
ستعرف حكمة الله في كل شيء حدث لك!

ستعلم أن الشيء الذي حرمك الله منه لم يكن يناسبك منذ البداية،

وأن الفرحة التي لم تنلها لم تكن إلا تمهيدًا لأفراح واعدة!

سيكون لديك من اليقين ما يكفيك لتواجه مصاعب هذه الحياة؛ لأنك مؤمن إيمانًا تامًا بأن الله يدبر أمرك كله بأحسن مما تتمناه لنفسك.

## 17|

ذات يومٍ كنتُ ماشيًا على قارعة الطريق، رأيت رجُلينِ كانا في آواخر عمريهما يتحدثان عن أمرٍ ما، وكان يبدو على وجهِ أحدهما الندم الشديد، بينما كان الآخر يقدمُ لهُ النصح.

مضيتُ أنا على عجَلٍ، فليسَ من الأدب أن أستمع لحديثهما حتى وإن كانا يتحدثانِ به على قارعةِ الطريق!

وبينما أنا أسرع بخطواتي، سمعت ذلك العجوز يقول للذي أمامه نصيحةً ما أظنني سأنساها ما حييّت، إذ قالَ له: "قبل أن تبدأ بشيء، فكر كيفَ ستكون نهايته، فكر بالنهاية ولا تظلم أحدًا، فإن الخواطر قلوب تكسر وليست عظامًا تُجبر!"وتأملوها معي!

تصور أن من أقسى الأشياء على هذا الكوكب هو أن يعبثَ شخصٌ بقلبِ شخصٍ آخر!

فما من كسرٍ أشدُ إيلامًا عند المرء من كسرِ خاطره.

فالعظام مهما طال بها المدى، نكون على يقين بأنها ستُجبر،
ولكن القلوب ليست هكذا، فهناك كسور لا تجبر،
وجروح لا تلتئم، وندوب لا تختفي، وكلمة أسف لن تعيد أنفاسَ مَيّت!وإن أردتم مني نصيحةً لدنياكم ولآخرتكم:
فلا تدخلوا قلوبًا وأنتم لا تعتزمون البقاءَ فيها،
لا تمشوا في طريقٍ وأنتم تنوونَ تركها!
فالقلوب أمانات، والأمانةُ قد تبرأت منها الجبال، وكسرُ الخواطر عند اللهِ عزيز،
واللهُ لا يغفرُ من دخلَ قلبًا بنية العبث حتى يسامحَ صاحبُ الحق!
فلا تحملوا أنفسكم أوزارًا فوقَ أوزاركم.

18|

أُحبُ اللين وأحب من يتحلى باللين، يعجبني في الإنسان روحه.
لا يهمني مظهره أو محيطه وإنما لينُ قلبه!
فنحنُ في الخصامات نهربُ للحنون لا النصوح،
فالحنون إن لم يفهم يتفهم.
وإن أعدل ما في الحياة أنها تدور!
وفي كل ذهابٍ وإياب لها نحصدُ نحنُ ما زرعناهُ في غيرنا سابقًا،
فاللينُ باللين، والرحمةُ بالرحمة، والإساءةُ بمثلها، ومن كَسر كُسر، ومن جَبَرَ جُبر،
والمرء يأخذ مما كانَ يعطيه،
وأنا على يقين تام بأن الله يرعى قلب من يُراعي قلوب خلقه!

19|

إياك أن تتوقف مهما حدث، لملم ما تبقى منك وامضِ.
الوقوف ليسَ حلاً، فالانهيارُ لن يغير شيئًا، والحزن لن يُعيد ما مضى!

العالم لن يتوقف على حزنك، كلُ شيء سيستمر، والأيام ستمضي على طريقتها المعتادة بك أو بدونك.فعلى سبيل المثال، ها نحنُ نرى قطيع الجواميس يسافرُ سنويًا لآلاف الكيلومترات بحثًا عن الطعام والماء رغبةً في العيش.

وإن منهم الكثير والكثير ممن تفترسهُ الأسودُ والسباع، ولا نجد أن أحدًا منهم قد توقف لأنهُ حزنَ على موت فردٍ من القطيع، أو عاد أدراجه لأنهُ خاف مما سيواجهه!

فهم يتركون ما فنى منهم لحاله ويكملون طريقهم نحو وجهتهم.

وحين يصلونَ أخيرًا، ومن بعدِ تعبٍ وشقاء، نرى أن التماسيح أيضًا هي الأخرى قد استقرت بالنهر تتربصُ بهم.

وبرغم كل هذا، فهي لا تتوقف وتعيدُ الكرّة سنويًا لإدراكها أنها وإن لم تسافر وتقطع كل عام كل الكيلومترات تلك فهي ستفنى من الجوع لا محالة!

فتختار أن تمضي بين كل تلك المخاطر لتواكب الدرب للعيشِ على أن تتوقف وتنقرض بسبب الجوع والعطش!فبربك، أليسَ من العيب أن تدرك الجواميس بغريزتها الحيوانية ما لا تدركهُ أنت بعقلك البشري؟!

## 20|

في قصة «روح مغادرة» للكاتبة «أسماء سامي»،
مقطعٌ مكون من سطور قليلة يفطر القلب وكانت للكاتبة «رَزنّة»، حيث قالت:
"وضعت وجعي جانبًا، تجردتُ من جسدي، بقي أمامي هذه السطور، قلبي؛ قلبي فقط المحتل بابتسامتك المحجبة بالتراب. شعرت بأن نبضاتي تتسارع، أنفاسي تتقطع، وصورتك تمتلئ بالرمال. أخيرًا تذكرت بأن الباب مثقوب وامتلأت الغرفة بالغياب".
وعن الحسرة التي امتلأت بهذهِ السطور القليلة،
أدركت أن الجنائز لا تُقام للمواتِ فقط،
بل تُقام لمن فقدوا أرواحهم أيضًا!
لمن دُفنوا تحت الثرى مع فقيديهم، لمن دُفنت قطعة من قلوبهم،
ولمن ماتت لهفة الحياة في أعينهم.
الجنائز تُقام للأموات في يوم وفاتهم فقط،

وتُقام عُمرًا كاملاً لأولئك الذين بقوا مرغمين على العيش أجسادًا خاوية، أجسادًا فقط، وبأرواحٍ منطفئة!

21|

وإن اشتدت عليك عثراتُ الحياة ونوائبُ الدهر،
وضاقت بك الأرض ذرعًا واحتل قلبك من الألم ما لم تعد تستطيع عليه صبرًا،
فرفع سبابتك إلى السماء!
وتذكر أن قلبك بيده، وأن كل تعجيز تراه في حياتك فهو لا يعجزه،
وأنه وإن ابتلاكَ فما هو إلا من حبهِ لك،
وحبهِ لرؤيتك تناجيه وتدعوه. فإن ضاقت تذكر أن الله سبحانهُ أرحمُ بكَ من نفسك!فعندما بلغ نوح عليه السلام ذروتهِ من أذى قومه وعدم استجابتهم له، وعلم أنهُ لا أمل يُرجى منهم،
رفع ملفَ قضيتهِ من الأرض التي ضاقت به،
إلى السماء التي كان يعرف أن كل المتسع فيها،
فجاءهُ الأمر ببناء السفينة!

فبدأ ببنائها، وبرغم من أن قومه لم يكفوا عن السخريةِ منه، لكنَ يقينهُ بربهِ أكبر من كلِ شيء،
وصبر على سخريتهم وأكمل بناء السفينة لأربعينَ عام!
فقضى اللهُ أمره في طرفةِ عين وأنجاه ومن معه من الكربِ العظيم..
فكلما ضاقت بك، ارفع يديك للسماء،
ففوقها ربٌ إن ناديتهُ ما ضيعك.

22|

ذات يوم جلستُ أتحدث مع صديقةٍ لي،
كانت في طبيعتها فتاةً مليئةً بالحياة، مفعمةً بالسعادة، صحبتها تبهج، وحديثها يسعد.
وفي حديثها لي، والذي اختصرتهُ بجملةٍ صغيرة قالتها وهي تضحكُ كعادتها،
ولا زلتُ أنا وإلى هذه اللحظة أستشعرُ بوخز تلك الكلمات في قلبي، إذ قالت:
لقد أهديتهُ حُبًا يتمناهُ ألفَ مريض، وأهداني مرضًا لا يعالجهُ ألف طبيب!
وأنهت كلماتها تلك بضحكةٍ ممزوجة بالكثير من الدموع!
فمن كان قد يتوقع أن كومة الفكاهة تلك يختبئ خلفها شخصٌ مليءٌ بالدموع؟
شخصٌ لا يحتملُ الكلامَ حتى!فهكذا نحن البشر، وإن الناسَ بحار، فإياك أن تحكم على أعماقهم وأنت لا ترى سوى شواطئهم.

فخلف تلك الضحكات جروحٌ غائرة يخبئها الناس عن الناس،
ووراء الحس الفكاهي الذي نراه في الكثير ثمة حزنٌ مقيم.
وذلك الذي نظنُ أنهُ واسعُ صدرٍ ويتقبلُ كل شيءٍ بصدرٍ رحب،
في حقيقة الأمر داخلهُ ثقبٌ أسود قد ابتلعهُ كليًا!
وإنهُ أعمى من لا يرى في الناس إلا ما يرى..

23|

ابتعد عن من يستعذب طعم وجعك،
ويهون عندهُ دمعَ عينيك!
فلا أحد له الحق أن يكسرِ قلبك، وينتزع منهُ طمأنينته!
لا أحد لهُ أيُّ حقٍ في أن يبكي عينيك ويتعبُ روحك،
وإن لا أحد سيستبيح فعل كل هذا ما لم تعطيهِ أنتَ هذا الحق!
وياللعجب سترى أن من يفعل كل هذا سيفعلهُ تحت مسمى الحُب!
يستبيحون الأذى وكأن الله ما خلق العلاقات للراحة والسكينة،
ولتعلم أن المحبَّ على من يُحب حريصُ،

يشعرُ بوجعهِ وكأنهُ فيه، فلا يستعذب ألمهُ ويستلذُ لوجعه!فعندما كان سيدنا يوسف عليهِ السلام في السجنِ، أمرت السيدة زليخا الجلاد بأن يجلدهُ بسوطه!

فباشر الجلاد الجلدَ بيوسف وبعدها توقف،

وكان يذهبُ كلَّ يومٍ ليخبر إمرأة العزيز أنهُ فعل ما أمرت،

وبعدما توقف جاءت إليه تسأله عن ما إذا كان ينفذُ أمرها أم لا،

أخبرها أنهُ يجلدهُ كما أمرت فصاحت بهِ بأنهُ يكذب!

فلما سألها عن علمها فقالت له:

عندما كنتُ آمرُك بجلدِ يوسف فتجلده كنتُ أشعرُ بالألمِ يمزقُني أنا،

والآن لم أعد أشعرُ بهِ كما كنت وهذا يعني أنك لم تعد تجلده كما أمرتك وأنك تكذب!وهذا ما يُسمى بالحب، أن تشعرَ بألمِ من أحببت حتى وإن لم تراه.

الحب شعور زرعهُ اللهُ فينا لنطمئنَّ ونستكين لا لنتألم!ولك سؤالي: هل برأيك قد يؤذي المُحب؟

ودعني أختصرُ عليك عناء التفكير:
فلا، لا وربُ محمد، لا يجتمعُ الحب والأذى في قلبٍ واحد!

## 24|

عزيزي القارئ، تحية وبعد:
أودُ فقط أن ألفت انتباهك لشيء صغير،
لتعليقاتك، لصديقك مثلاً!
فعلى سبيلِ المثال، أنت تعلم أن لكَ صديقاً واقعاً في الحب،
فتظلُ تستخفُ وتمازحُ على سبيلِ الترفيه عن نفسك
وأنتَ جاهلٌ كل الجهل عن ذاك الذي مزقهُ كلامك وجرحهُ جرحاً أليماً!
لا تستخف ولا تستهين بمشاعرٍ لا تفهمها أنت،
لا تقل صديقي ويتحملُ مني المزاح، فالمشاعر إن استُهينَ بصاحبها فتأكد أن بإمكانها أن تفقدك إياهُ ولربما للأبد!

وقيل إن رأس مال الإنسان قلبه، فتَرفقّ يا عزيز،
فمثلما أنت لا تجد أن أحداً يستطيع فهمَ مشاعرك سواك،
فأنت أيضاً هكذا؛ لن تستطيع فهم مشاعر أحدٍ غيرك،
وإن ما يبدو بالنسبةِ لك شعوراً عادياً سطحياً لا يستحقُ المبالغة، هو لغيرك يمثلُ حياةً كاملة!
وأن اللسان، ذلك العضو الطري، قد يكون في بعضِ الأحيان أحدُّ من السيف،
فانتقِ كلماتك وتذوقها قبل أن تقولها، فهنالك قلوبٌ تُجرح وخواطر تُكسر بسببِ كلمة لم يُحسبُ لها أيُّ حساب.

25|

الأمير« هينري» تنازل عن حياتهِ الملكية بكلها لأجل الزواج ممن أحب.
والشاب الهندي«بي كي مهاناندیا» ساق بسكليت_ دراجه هوائيه_ من الهند إلى السويد من أجل أن يرى حبيبته «شارلوت»والتي تعرف عليها صدفةً في شوارع دلهي.
ولاعبُ الكرة الإرجنتيني « ليونيل ميسي» والذي شارك في عدة مباريات لكأس العالم وكان أصغر أرجنتيني يلعب ويسجل في كأس العالم،
وقاد الأرجنتين إلى ثلاث نهائيات متتالية.
عندما فاز بلقب "كوبا أمريكا" في عام2015
هاتف زوجته على الفور ليشاركها نجاحه؛
لأنه قد رأى أن سعادته لا تكتمل إلا بها.

و«شادو بارابيلون» زرع حديقة ورد لزوجته لتشمها بعد ان فقدت بصرها فجأة.

وحقيقةً واحدة إجعلها نصبَ عينيك:
الظروف مجرد كذبة، فمن أرادك سيستطيع،
ومن أضلمت عليه دُنياه بفقدك، سيقلبُ الدنيا ليرى نور وجهك،
ومن مزقَ البعدُ قلبه يسعود ليخيط جراحهُ وهو بجانبك،
ومن شعر بلذةِ قربك لحظةً، لن يستطيع تحملَ علقم غيابك أبدًا.
توقف عن تصديق الكلام، وأنظر نحو الأفعال!
فالجميع يستطيع الحديث وإلقاء الوعود البراقة،
لكن القليل الأقليه من يستطيعُ التنفيد
ولرُبَّ فعلِ يُرى خيرٌ من ألفِ كلمةٍ تقال.

## 26|

"لا تقطعوا وعودًا لستم أهلًا بها، فهناك قلوب تبني على وعودكم حياةً". قرأتها ذات مرة، وقد ضربت عندي على وتر حساس، فعزمت في نفسي على أن أضعها هنا! فإذا عدنا لقراءتها مرةً أخرى وبتمعن، سنجد أنها تعبر عن واقع كثير مما يحدث في مجتمعنا وحياتنا كَبشر. فقد عاشها قبلاً آلاف، وعاشها معنا الكثيرون الذين لا نعدهم ولا نحصيهم، وسيعيشها أيضًا بعدنا الكثيرون! فلربما هي غريزة لدى البعض،غريزة ليست طيشًا كما يقال.الكثير من هذه الحكايات تبدأ بما يسمى شر البدايات _ النظرة_ وتجد تلك اللمعة المحبة في العيون تفضح ما تكنه القلوب!

ونتمسك نحن بالعشم والنبل الخاطئ، فتبدأ القلوب تبني على هذه النظرية حياةً كاملة ساسها وأساسها مجاملة لشعور لم يكن له موقع في قلوبنا منذ البداية!

ثم تأتي لحظة الإفلات، فتفنى الوعود، وتندثر الأحلام، وتنطفئ الشموع..

وإن لا شيء يؤذي المحب أكثر من ذلك السراب الذي مشى خلفه، يوقد شموع الأمل ويتمسك بحبل الوعود التي كانت كذبة ومجاملة ليس إلا. ولا يؤلم المرء شيئًا أكثر من أن تُطفئ الشمعة التي أوقدها في صدره ذات يوم. فكونوا واضحين منذ البداية ولا تسيروا في طريق الحب مدفوعين بالعشم والخجل!

لا تقطعوا وعودًا لستم أهلًا بها، ولا توقدوا شموعًا وأنتم تنوون إطفاءها، فقلوب الناس ليست لتجارب، وإن الصدّ في البداية أهونُ على المرء من الترك في منتصف الطريق.

## 27|

في إحدى المرات، كنت أقرأ قصة تتمحور أحداثها حول الانتحار..
وأكثر ما قرأته وجعًا في تلك القصة كانت رسالة وُجدت في جيب المنتحر، كتب فيها:" تزوجوا من تحبون، لا تأخذوا قلوبهن وتتركوا لنا الأجساد."
وهكذا حين يجبر شخص نفسه على الزواج في سبيل أن ينسى، يتضاعف ألمه هو وشريك حياته.
فيبقى جسدًا خاويًا لا حياة فيه، وروحًا نافرة، وقلبًا مهما حاول لا يميل.لا تظلموا الآخرين ولا تظلموا من تزوجوهم! فتكون نهاية هذه العلاقة مأساوية؛ فإما أن يكون الطلاق هو الحل الوحيد فيُرمى كلٌ منهما بروحٍ لا تدبُ فيها آثار الحياة، وإما أن يقع الأطفال ضحايا لهكذا زواج، أو تُزهق روحٌ نفسها فنجد في النهاية أن شخصًا فضل الهرب من الواقع المر بقتل نفسه!

ووالله إنني قد سمعت كثيرًا عن قصص بدأت بحبٍ بُني على أحلام مستحيلة لا سبيل لها أن تُولد على أرض الواقع، فدفعتهم نحو جو من الكآبة وانتهت الحكاية بالانتحار أو الموت من الحسرة.

فأتقوا الله في قلوب الناس.

28|

يقول الصنابحي: خرجنا من اليمن قاصدين الحجفة لزيارة رسول الله ﷺ، فلما أقبلنا، جاءنا راكبٌ يقول: **"لقد دفنا رسول الله منذ خمس ليال!"** خمس ليالٍ فقط تأخروها، فحُرموا من رؤية وجه النبي ﷺ.

والعبرة التي نستخلصها من هذه القصة هي أن بعض التأخيرات والتأجيلات قد يدفع المرء ثمنها طول عمره!

ويقول المثل الشعبي القديم: **"لين الحديد عاد الحديد حامي، لو برد ما عاد يتلين"**. فاضرب كلمتك في أوانها، فإن فات الأوان فلن تفيد الحسرة!

فكم من اعتذار أُجل إلى أن توفي صاحبه، وكم من عروس زُفَّت لغير حبيبها لأنه لم يُقدم!

وفي هذا السياق، تقول إحداهن: لقد كان أخي يحب فتاة حبًا جُما فعزم كل العزم على الزواج بها،

فبدأ يشاور أصدقاءه ويشاركهم فرحته، فسمع ابن خالها عن هذا الأمر، فتقدم لها على الفور وتزوجها!

نعم فإن كل شيء مقدر ومكتوب من الله، ولكن وكما قيل: أن حسرة الخسارة التي تأتي بسبب التأخير مريرة جدًا."

29|

يقول سيدنا يوسف عليه السلام: "العاشق لا يخون" وكفى بك قوله، وكفى لك يقينًا لتعلم من أحبك بصدق ومن لم يكن يُمضي سوى وقتٍ لا أكثر. والسلام لقلبك، وضمد الله جرحه.

30|

عُمتَ مساءً عزيزي القارئ،وبعد..

إن تسليم الأمور كلها لله هو أنقى مرحلة يصل إليها الإنسان في حياته.

فإن رضيت بالشقاء الذي قد كتبه الله عليك، وسلمت له فتات نفسك راضيًا بقسمتك من الحياة،

فواللهِ إن الله سيعوضك بعوض يُنسيك مرّ ما قد مررت به، ويجبرك جبرًا تتعجب أنت نفسك منه.

فسلم كل أمورك لله وتوكل عليه، وكفى بالله وكيلًا وحبيبًا ومؤنسًا ومدبرًا لحالك.

31|

وذلك الذي يرسل شخصًا نحو الحزن العميق، أتساءل كيف له أن يستطيع إكمال حياته بضميرٍ مرتاح دون خوف مما فعل؟!

32|

عزيزي، لتعلم فقط أن عظيم الجبر يُولد من رحم المعاناة، فتصبر.

وأخبر قلبك الذي طال صبره:

بأن الله يحب الصابرين.

33|

إن الله من لطفه بنا لا يحمل نفسًا ما لا طاقة لها عليه، فلا ترهق نفسك بالتفكير في "كيف ذلك، ومتى سيحدث..."

أبعد خوفك وتفكيرك وتفسيرك عن الأحداث والأقدار القادمة، فهي في معية الله وعلمه فقط.

وهو لن يحملك إلا ما تستطيع تحمله.فإن أصابك بلاء تستعصبه، فكن على يقين بأنه مبطن بألطاف خفية.

وإنه هو الله الذي لن ينسى لك صبرك واتجاهك له في وقتٍ كنت ترى فيه أن كل الأبواب مسدودة في وجهك ولم يبقَ لك سوى بابه.

في وقتٍ ذهبت إليه تمشي متعرجًا، تحمل بين يديك فتات قلبك المنكسر، فيجبرك ويصلح لك شتات نفسك، فتعود مستقيمًا، مجبور القلب، مطمئن الحال والبال.

34|

عليك أن تدرك حقيقة أن الجميع يمر بمعركته الخاصة بشكل أو بآخر.

عليك أن تدرك أن الجميع في القاع يجاهدون لنجاةٍ سرًا، وعلى السطح هم ناجون!

عليك أن تعلم أنك لست وحدك من يصارع حزنه وبؤسه ويواري نفسه المحطمة خلف ستار تغيير النبرة.

فالجميع هنا يعاني يا عزيز، الجميع لديه حرب طاحنة تفتكُ به كل يوم.

لذلك، كن لطيفًا مع نفسك ومعهم، كن بسمًا.

35|

"يقول ابن القيم رحمه الله: الرب سبحانه لا يمنع عبده المؤمن شيئًا من الدنيا إلا ويؤتيه أفضل منه وأنفع له، والعبد لجهله بمصالح نفسه وجهله بكرم ربه وحكمته ولُطفه لا يعرف التفاوت بين ما مُنع منه وبين ما ذُخر له، بل هو مُولَع بحب العاجل وإن كان دنيئًا.

وإن ما من شيء يُهَوِّن على المرء نائبة من نوائبِ الدنيا إلا يقينهُ التام برحمة الله سُبحانه، وحكمتهُ البالغة ورحمتهُ التي وسعت كل شيء، ويقينهُ بأن الله أرحم بنا من أبنائنا وأمهاتنا، وأعلم بمصالحنا من أنفسنا، الرضى بأقدارِ الله يعتبرُ من أعلى المقامات وأفضلِ العبادات في الحياة الدنيا التي خُلقت ناقصةً ولم تكتمل لأحد، إنها وإن طالت فما هي إلا دارُ عبورٍ لا أكثر، وإن الحياة الآخرة هي الأبدية.

وفي ذلك يقول عبد الواحد بن زيد: «الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين».

# 36|

أن نكتب في نهاية سطُورنا
أننا نِلنّا ما صبرنا لأجله
آمين.

# 37|
# •همسة ختام:

عزيزي، يا من تقرأ الآن، أولًا أقرؤك سلامًا سرمديًا آمنًا، السلام لقلبك والطمأنينةُ تسكن جوفك، عزيزي، ها أنت ذا قد وصلت لآخرِ سطور في كتابي المتواضع، لا أعلم ما هو السبب الذي جعلك تقرأهُ، ربما قد يكون تمضيةَ وقتٍ لك، فإن كان هكذا أتمنى أن أكون قد ملأتُ فراغ وقتك بالفائدة، وإن كنتَ قد قرأتهُ لتستفيد؛ فأتمنى أن تكون قد خرجتَ بشيءٍ يفيدك منه وإن كان سطرًا صغيرًا؛ فأنا سأكون سعيدةً جدًا بهذا، وإن كان قد لفتك عنوانهُ -للمخذولةِ قلوبهم- لشيءٍ ما في قلبك يصعبُ عليك ترجمته أو البوح به؛ فأتمنى أن تكون كلماتي قد احتوتكَ كملجأ آمن تصبو إليه متى أردت، وإن كنت يا عزيز قد فتحتَ أُولى صفحاته من بابِ الفضول لا أكثر ولفتكَ بهِ الإهداء الذي كنت من شدةِ وجعك تشعرُ أنهُ كُتبَ فقط ليحكي ما بداخلك وواصلت قراءتهُ تبحثُ عن

الملجأ والأمان من غدر الأيام، ووعورة الطرق، وخذلان الرفاق، ووحشة الوحدة، وتبحثُ عن عزاءٍ لمشاعرك التي هدرت، وصبرك الذي نفذ، وأيامك التي ما عدت تستطيع عليها صبرًا، فحقًا أتمنى من كل قلبي أن تكون قد وجدت ما واصلت القراءة لأجله، أتمنى من أعماق قلبي أن تكون قد التمست ولو جزءًا صغيرًا من الطمأنينة والأمان التي تبحثُ عنها.

وفي النهاية تذكر يا عزيز أن الله لم يخلقنا لكي ينسانا، ولم يخلقنا لكي ننساه، وهي معادلة بسيطة جدًا «كُن مع الله يكُن معك» والسلام لقلبكَ حتى يهدأ، يطمئن، يستريح.

إنتهى..